كلية الآداب

جامعة عين شمس

قسم اللغة العربية وآدابها

كتاب أخلاق الوزيرين لأبي حيان التوحيدي دراسة في اللغة والأسلوب

بحث مقدم لاستكمال متطلبات درجة الماجستير

إعداد

أوس عصام هشام الوادي

بإشراف

أ.د.محمد عبد المطلب

أستاذ الأدب والنقد المتفرغ بقسم اللغة العربية

د.إسلام حسن الشرقاوي

أستاذ الأدب والنقد بقسم اللغة العربية

Faculty of arts
Ain Shams University
Department of Arabic language
and literature

Akhlaq Al-Wazirain (The two Ministers' Morals) by Abo-Hayan El-Tawhidi (A study of language and style)

A research for Master's degree

Prepared by
Aws Isam Husham Al-wadi

Supervised by

Prof. Mohamed Abdelmotaleb & Dr.Islam Hassan El-Sharqawi

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى كُلِّ عَثْرَةٍ زادَتْنِي إصراراً...

أُهدي هذا الجهد المُتَواضِع

الشكر والامتنان

لقد منَّ الله عليَّ بعونه وفضله بأن يسَّر لي إتمام هذه الرسالة، ولم يكن هذا الجهد ليكتمل لولا أُستاذَيَّ المشرفين اللذين يطيب هذا المقام بذكرهما، وتعجز كلماتي عن شكرهما، إلا أن من لم يشكر الناس لم يشكر الله...

وهنا أتوجه بخالص الشكر والتقدير إلى العالم الجليل الأستاذ الدكتور **محمد عبد المطَّلب**؛ الذي كان سراجاً أنار طريقي في هذا البحث، ولم يبخل عليَّ بجهد في تقويم ما اعوجَّ منه، ولا بنصيحةٍ ترمم عثراتي به.

وكذلك أخص أستاذي الكريم الدكتور **إسلام حسن الشرقاوي** بخالص الشكر والتقدير على سعة صدره، وما منحني إياه من الرعايةِ والوقتِ والجهدِ، فهو طالما وجَّهني، وأشار عليَّ، وكان خير عونٍ لي، شأنه شأن أستاذي الدكتور **محمد عبد المطَّلب**، فجزاهما الله عني خير الجزاء.

الملخص

أخلاق الوزيرين لأبي حيان التوحيدي دراسة في اللغة والأسلوب

إعداد: أوس عصام هشام الوادي

إشراف

أ.د.محمد عبد المطلب/د.إسلام حسن الشرقاوي

رسالة ماجستير– قسم اللغة العربية– كلية الآداب– جامعة عين شمس

جاءت هذه الدراسة في مقدمة وتمهيد وفصلين:

- في التمهيد عرضت للمنهج الذي استخدمته في تحليل نص أخلاق الوزيرين، وتحديداً أدوات السبك النصي؛ فقمت بعرض أدواته واحدة واحدة مقدماً لكل مصطلح منها تعريفاً مفصلاً له، يتناول جانبيه (اللغوي، والاصطلاحي) فاستندت في الجانب الاصطلاحي لكل أداة من أدوات السبك على ما ورد في تراثنا اللغوي، حرصاً على أن تكون أدوات التحليل المستخدمة متناسبة كلياً مع خصائص اللغة العربية.

- بعد ذلك جاء الفصل الأول (السبك النحوي) الذي قدمت له بتوطئةٍ عرضت فيها بداية سبب تسمية أبي حيان كتابه أخلاق الوزيرين، كما تحدثت عن الفرق بين البعدين الرمزي والإشاري؛ اللذين كانا معياراً استطعنا من خلاله أن نستنتج ميل أبي حيان إلى مراعاة الصدق الفني على حساب الواقع، ومن ثم تناولت مظاهر السبك النحوي في كتاب أخلاق الوزيرين وأثر تلك المظاهر في الكتاب، والتي كانت ثلاثة (الإحالة، والاستبدال، والحذف)؛ فانقسمت الإحالة إلى (قبلية، وبعدية)، (إحالة إلى ملفوظ، إحالة إلى مفهوم) وذلك من خلال (الضمير، والاسم الموصول، واسم الإشارة)، كما اقترحت إضافة الاستبدال إلى أنواع الإحالة لما له من دور في إحالة اللفظ البديل إلى

المبدل منه، أما الحذف في كتاب أخلاق الوزيرين فنوعان: حذف الاسم وذلك من خلال (حذف الفاعل، وحذف المبتدأ، وحذف المنعوت)، وحذف الجملة وذلك من خلال (حذف الجملة الفعلية، وحذف جملة جواب الشرط، وحذف الفعل الناسخ وجملته)، هذا وقد ألحقت بالفصل الأول جداول توضح عملية الإحالة وتنوع البنى الإحالية في كتاب أخلاق الوزيرين.

- أما الفصل الثاني فكان بعنوان (السبك المعجمي)، رصدت فيه مظاهر السبك المعجمي في كتاب أخلاق الوزيرين ودورها في سبك النص، وتوليد معاني تضفي تنوعاً لفظياً يساهم في بلورة المعنى، وقد انقسمت إلى: التكرار بأشكاله: التام، والجزئي، والاسم الشامل، أما المصاحبة اللغوية فقد انقسمت إلى: العكوس، والمترادفات، والمتكاملات، والصفة والموصوف، والمضاف والمضاف إليه.

- وفي الخاتمة عرضت للنتائج التي توصلت إليها من خلال تحليل نص أخلاق الوزيرين، فكانت ثمانية بنودٍ أهمها: أنه من خلال ما اختبرته في المنهج الذي انتهجته في دراستي هذه؛ فقد تبيَّن لي مدى ثراء تراثنا اللغوي بأدوات تعين الدارس على سبر أغوار النصوص العربية، إلا أننا بحاجة إلى أن نعيد قراءة هذا التراث في ضوء البحوث اللغوية المعاصرة، وإعادة تصنيفه بشكلٍ يُسَهِّل على دارسي نحو النص الاستعانة بمنجزات تراثهم اللغوي الذي يناسب لغتهم العربية بدلاً من أن يلجأوا إلى منجزات علماء اللغة الغربيين.

Summary

Akhlaq Al-Wazirain (The Two Ministers Morals) by Abo-Hayan El-Tawhidi (A Study of Language and Style)

Prepared by: Aws Essam Hesham El-Wady

Supervised by: Prof. Mohamed Abdelmotaleb & Dr.Islam Hassan El-Sharqawi

This study is made up of an introduction, two chapters, and a conclusion:

In the introduction, the methodology used in the analysis of the text is made clear. The focus is on the tools of textuals cohesions. Each tool is defined in detail at the linguistic and lexical levels. I relied on the works of old and modern Arab scholars in my definition of each tool in way that suits the Arabic language.

- The first chapter (grammatical cohesion) opens with a preface in Which the reason for the texts title was explained. The study also differentiated between the symbolic and the referential dimensions, which represented a norm that was used to conclud that Abo-Hayan gave due care to artistic truth rather than actual truth. Grammatical cohesion tools were also highlighted and identified as also: reference, replacement, and omission. Reference is divided into anaphoric and cataphoric, and reference to a linguistic item and reference to a concept using pronouns, relative pronouns, and demonstrative pronouns. The study suggested adding replacement as one of the types of a reference because it consists in referring to the substitute item. Omission in the book consists in the omissions of the nouns (theme and subject), omission of sentences (verbal and conditional sentences). Tables are attached to chapter one in which the different types of reference are identified.

- Chapter two is titled lexical cohesion, and in this chapter, the features of lexical cohesion are defined and highlighted. These features include: reprtition (partial or full), generalization, and collocations (antonyms, synonyms, adjective+noun, compounding).

The conclusion puts forth the findings of the research. The findings can be summarized as follows: our language heritage is full of resources thet could help researchers in their text grammar analysis endeavors and could be instrumental in interpreting the Arabic text; and our language heritage should be reread and resorted in a way that dacilitates the study of text grammar for reaserchers, instead of making them rely on the works of weastern scholars.

المقدمة

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين على كل حال، والصلاة والسلام على نبيه كريم الخصال، وبعد ؛

فقد يسر الله لي أسباب البحث في ميدان النثر في العصر العباسي وتحديدا في العصر العباسي الثاني الذي ازدهرت فيه الكتابة نثراً وشعراً ، وبرز فيه كتاب عدة برعوا في كتابة النثر بأنواعه ومثلوا علامة فارقة فيه، يرجع ذلك لاتساع رقعة الدولة الذي كان سبباً رئيسياً في التداخل الثقافي والمعرفي الذي حدث بين الثقافة العربية وثقافات الدول الأخرى المحيطة بها؛ فنشطت حركة الترجمة، واتسعت العلوم والمعارف، وكثر الوراقون، وحلت الكتابة محل الخطابة، فانبثقت أنماط نثرية جديدة (كالمقامة والتوقيعات).

وقد كان من بين الكتاب الموجودين آنذاك أبو حيان التوحيدي، أديب فيلسوف مبرز، ترجم له ياقوت الحموي في "معجم الأدباء" فقال عنه :

" علي بن محمد بن العباس أبو حيان التوحيدي، شيرازي الأصل وقيل نيسابوري، ووجدت بعض الفضلاء يقول له الواسطي، صوفي السمت والهيئة، وكان يتأله والناس على ثقة من دينه، قدم بغداد فأقام بها مدة ومضى إلى الري، وصحب أبا القاسم إسماعيل بن عباد وقبله أبا الفضل بن العميد فلم يحمدهما وعمل في مثالبهما كتاباً، وكان متفنناً في جميع العلوم من النحو واللغة والشعر والأدب والفقه والكلام على رأي المعتزلة وكان جاحظياً يسلك

في تصانيفه مسلكه ويشتهي أن ينتظم في سِلكه، فهو شيخ الصوفية وفيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة، ومحقق الكلام ومتكلم المحققين، وإمام البلغاء، وعمدة لبني ساسان، سخيف اللسان، قليل الرضا عند الإساءة إليه والإحسان، الذم شانه، والثلب دكانه، وهو مع ذلك فرد الدنيا الذي لانظير له ذكاءً وفطنةً، وفصاحة ومكنةً، كثير التحصيل للعلوم في كل فن حفظه، واسع الدراية والرواية.."[1].

عاش التوحيدي في القرن الرابع الهجري ؛ فعاصر رقي العلوم والفنون بأنواعها شتى، وهو ما يتجسد في كتاباته بوضوح، حتى عده بعض الباحثين "جاحظ القرن الرابع" نظراً لاقتفائه أثر الجاحظ والسير على خطاه في أسلوبه وبلاغته، كما كان لعمله بالوراقة ونسخ الكتب، واطلاعه المستمر على كتب ورسائل في مختلف العلوم دور أساسي في خلق ذلك العالم الموسوعي الفذ، أضف إلى ذلك أنه كان من رواد مجالس العلم والأدب، يخالط العلماء ويجلهم، فتتلمذ على أيدي شيوخ عدة ذوي مذاهب وعلوم مختلفة.

بيد أن ازدهار القرن الرابع علميًا كان يشوبه اضطراب سياسيّ صاحبه اضطراب اقتصاديّ، ففي ظل سيطرة البويهيين، وضياع هيبة الخليفة، وصراعات الفرس والترك على كرسيّ الحكم ؛ انقسم المجتمع إلى طبقاتٍ ثلاث: الطبقة العليا وهي الأرستقراطية وتتألف من الخلفاء والوزراء وكبار التجار والأعيان والأشراف، والطبقة الوسطى التي

(١) معجم الأدباء ، ياقوت الحموي، دار المأمون، القاهرة، الطبعة الثانية ،١٩٣٦، ٥/١٥.

يشغلها التجار المتوسطون والملّاك، أما الطبقة الدنيا فهم عامة الشعب من العمال والفلاحين والعلماء الذين ابتعدوا عن الخلفاء والأمراء، وقد عاش هؤلاء حياة صعبة قاسية مليئة بمعاناة الفقر والفاقة، وقد كان التوحيدي منهم، فلا عجب من سعيه الدائم للاتصال بالوزراء والأمراء، فقد كان يطمح إلى الهرب من حياته القاسية والتخلص منها بما يتاح أمامه من وسائل، مما عرضه للنقد الواسع من قبل نقاد كثر اتهموه بأنه كثير الطمع ،يستحسن عطاء الوزراء، خانع ذليل، لحوح في طلبه، متناسين ما عاناه من قساوة الفقر في حياته، ومتجاهلين في الوقت ذاته أن أدباء كثراً طرقوا باب الخلفاء والأمراء والوزراء –آنذاك– طامحين إلى سلطة أو طامعين في عطايا مادية أو حتى معنوية، أي أن هذا السلوك لم يكن غريباً أو شاذاً في ذلك الوقت، ولم يكن التوحيدي متفردًا به.

والغريب أنه ليست هناك ترجمة وافية حول هذا العالم الفذ إلا ما ذكره ياقوت، فلا نكاد نعثر على ترجمة وافية مثلها له مما شكل عقبة كبيرة أمام الباحثين، وأثار خلافات بين العلماء بدءًا من كنيته التي ردها بعضهم لنوع من التمر يسمى "التوحيد" كان يبيعه والده في بغداد، وردّها آخرون إلى مذهب "المعتزلة" الذين كانوا يسمون أنفسهم أهل العدل والتوحيد.

كما اختُلف أيضًا في أصله أهو فارسيّ أم بغداديّ، فهاهو ياقوت يذهب إلى أنه شيرازي الأصل– أي فارسي– وإن كنا نميل إلى الرأي القائل بأنه بغدادي الأصل؛ إذ إنّ القائلين بعربيته "يؤكدون أنه ليس في مؤلفاته مايشير إلى فارسيته، فضلًا عن أنه لو كان يمت إلى فارس بصلة النسب؛ لباهى بذلك في عصر كانت الدولة فيه للفرس،

وكانت صلته بأمرائهم وحكامهم في القرن الرابع أمله وهدفه"[1]، والحال كذلك في تاريخ مولده ووفاته إذ يقول الدكتور أحمد الحوفي: "ولكننا في تأريخنا لأبي حيان نلقى عسرين: عسرًا في تعرف مولده، وعسرًا في تعرف وفاته، كأنما اتفق الناس على إهماله ميتاً كما أهملوه حياً، وكأنما أبى حظه المهضوم إلا أن يلازمه في الحياة والموت"٢

أما عقيدته فقد طعن فيها بعض العلماء أمثال ابن فارس في كتابه "الفريدة والخريدة"وابن الجوزيّ والذهبيّ، فاتهموه بالزندقة وقرنوا اسمه بمن اعتبروهم زنادقة، بل وجعلوه أخطرهم لأنهم "..صرحوا ولم يصرح هو ."٣

ويبدو أن الذين لم يحتملوا سلوكه الفظّ، واعتداده بنفسه، وأسلوبه المتمرد، كانوا يستسهلون إطلاق تلك التهمة عليه، "فالمتصفح لمؤلفات التوحيدي، يجدها تنفي هذا الاتهام على وجه اليقين، بل إنها تكشف عن صدق إيمانه وصحة عقيدته. ثم إن المتأمل فيمن اتهموا أبا حيان –كابن فارس وابن الجوزي– يجد أن ابن فارس كان أستاذاً للصاحب بن عباد، ومقربًا من مجلسه؛ لذلك لانستبعد أن يكون الانتقام هو الدافع الذي جعل ابن فارس يرمي التوحيدي بما رماه به، وبخاصة أن ابن عباد كان

---

١ أبو حيان التوحيدي ج١، أحمد الحوفي ، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٦٤ ، ٢٧.

٢ السابق ، ص٢٣.

٣ للمزيد من التقصيل حول هذه القضية والرد على هذه الاتهامات، انظر: المرجع السابق، ص ٩٠ .

٤ كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي "دراسة أسلوبية في البناء اللغوي وأساليب السرد"، إسلام حسن الشرقاوي، مكتبة الرسائل الرئيسية بكلية الآداب– جامعة عين شمس، القاهرة، ٢٠٠٥.

أحد الوزيرين اللذين ألف التوحيدي كتاباً عن مثالبهما ونقائصهما" ، سماه "أخلاق الوزيرين".

"ولم يخف أبو حيان الأسباب التي دفعت به في غير شفقةٍ إلى تأليف كتاب الأخلاق هذا؛ فقد فارق أعزته ببغداد، وهجر أهله وإخوانه بها، وقصد الصاحب بالري، آملا أن ينال ببابه ما كان طمعه يدندن حوله، ونفسه تحلم به، وأمله يطمئن إليه، فخيب الصاحب أمله، وأساء معاملته، فتجرد أبو حيان للانتقام."[1]

إن كتاب "أخلاق الوزيرين" إذن نقد لاذع، وضعه أبو حيان لهجاء الوزيرين "الصاحب بن عباد" و"ابن العميد"، وإن كان قد ذكر فيه شيئاً من فضائلهما، قام بتأليفه بناء على طلب من الوزير ابن سعدان، فاتُّهم فيه بالتناقض ؛ لأنه طعن في الوزيرين ثم عاد فأقر بفضائلهما، فكان ذلك مأخذاً عابه المؤرخون والنقاد عليه.

وقد قام أبو حيان – في الفترة الأخيرة من حياته – بإحراق كتبه، وهنا كانت الطامة الكبرى ؛ إذ ضحى بنتاج عقلي جاء حصيلة لسنين طوال من الجهد والترحال بين مختلف العلوم، حيث أورد ياقوت الحموي في معجمه "وكان أبو حيان قد أحرق كتبه في آخر عمره لقلة جدواها، وضناً بها على من لا يعرف قدرها بعد موته.[2]

---

[1] أخلاق الوزيرين، أبو حيان التوحيدي، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي، دار صادر، بيروت، ١٩٩٢م ،ص (ل).

[2] انظر: معجم الأدباء، ص٧٠.

وكتب إليه القاضي أبو سهلٍ عليُّ بنُ محمدٍ يعذُلُهُ على صنيعِهِ، ويعرِّفُهُ قُبحَ ما اعتمد من الفعل وشنيعِهِ. فكتب إليه أبو حيان يعتذرُ من ذلك:" ثمّ اعلم علّمك الله الخيرَ أنّ هذه الكتُبَ حوت من أصناف العلم سِرَّهُ وعلانيَتَهُ، فأما ما كان سراً فلم أجد له من يتحلّى بحقيقته راغباً، وأما ما كان علانيةً فلم أُصب من يحرص عليه طالباً، على أني جمعتُ أكثَرَها للناسِ ولطلبِ المثالَةِ منهم ولعقدِ الرِّياسةِ بينهم ولمدِّ الجاهِ عندهم فحُرِمتُ ذلك كلَّهُ،–ولا شكّ في حسن ما اختاره الله لي وناطهُ بناصيتي، ورَبَطَهُ بأمرِي، وكَرِهتُ مع هذا وغيرِهِ أن تكونَ حُجّةً عليّ لا لي، ومما شحذَ العزمَ على ذلك ورفع الحِجابَ عنهُ، أني فقدتُ ولداً نجيباً، وصديقاً حبيباً، وصاحباً قريباً، وتابعاً أديباً، ورئيساً مُنيباً، فشقّ عليّ أن أدعَها لقومٍ يتلاعبونَ بها، ويُدَنِّسونَ عِرضي إذا نظروا فيها، ويشمَتونَ بسَهوي إذا تصَفَّحوها، ويتراءَونَ نقصي وعيبي من أجلِها، فإن قلتَ ولم تَسِمهُم بسوءِ الظّنِ، وتُقَرِّعُ جماعَتهم بهذا العيب؛ فجوابي لك أنّ عِياني منهم في الحياةِ هو الذي يُحَقِقُ ظنّي بهم بعد الممات، وكيفَ أترُكُها لأُناسٍ جاوَرتُهم عشرينَ سنةً فما صحَّ لي من أحدهم وِدادٌ؟ ولا ظَهَرَ لي من إنسانٍ منهم حِفاظٌ، ولقد اضطُرِرتُ بينهم بعد الشُهرةِ في أوقاتٍ كثيرةٍ إلى أكلِ الخُضَرِ في الصحراء، وإلى التَكفُّفِ الفاضِحِ عندَ الخاصةِ والعامةِ، وإلى بيعِ الدينِ والمروءةِ، وإلى تعاطي الرِّياءِ بالسُّمعةِ والنِفاق، وإلى مالا يَحسُنُ بِالحُرِّ أن يَرسَمَهُ بالقلمِ، ويطرحُ في قلب صاحبِهِ الأ لَمَ، وأحوالُ الزمانِ باديةٌ لعينِكَ، بارِزَةٌ بينَ مسائِكَ وصباحِكَ،...". [1]

١ "معجم الأدباء"، ١٨/١٥